

# المقصود

## الحبز الأسود

لأناطول فرانس

ترجمة صيب العوشي

كان في مدينة فلورانس العظيمة بتقادم عهدنا ، الخالدة بنفيس متاحفها ، رجل وافر الثراء يقال له تقولا نرلي ، وكان اذا طلعت الشمس يتروى في مخدعه ، ويلبث سحابة نهاره جالساً الى مكتبه يخط في دفاتره أرقاماً وينقل أخرى . وكان عاهل البلاد وبابا الكنتلكة مدينين له بمبالغ باهظة ، ولم يكن يامل المراوغين والمكزرة وخافري النسم محاذرة منهم ، وخفاة أن يقع في جائلهم ويعرض أمواله للضياع . وكان من أجل هذا يقظاً حذراً ، وقد جمع أموالاً وافرة ، وجرّد مدينيه الكثيرين من أملاكهم ومتاعهم ومقتنياتهم . وكان أهالي فلورانس يجلونه ويخصونه بالاحترام من أجل ثرائه ، وكان يقطن قصرآله لا يدخله النور إلا من كوى ضيقة مستديرة ، لأن الحرص والحرس يجردون الأغنياء الى تحصيلين دورهم ولإصدار أبوابها ليصوتوا ما حشبهوه فيها من أموال وكنوز وحلى ، جمعوها بالآفك والمخاتلة والخذاع . ومن أجل هذا أيضاً كان قصر تقولا نرلي محاطاً بالسوار العالية المنيعه والسلاسل الحديدية الصلبة الثقيلة .

وكان قد استقدم أشهر الفنانين وأخذتهم ، فرسموا له على جدران القصر الداخلية صور نباتات فانتات ، يرمن الى أسنى الفضائل وأسمها ، وصور أحبار اسرائيل وأنبياؤه وملوكه . وكان معلقاً على جدران بعض الغرف كثير من النسيج الموشاة بفتوحات الاسكندر وترهستان ووقائع حروبهما العظيمة كما هي متناقلة بالتواتر ومدونة في بطون التواريخ . وكان يطيب لتقولا نرلي هذا أن يظهر سواطع ثروته بما

كان يأتيه من أعمال الخير : فأنشأ على تقفته خارج أسوار المدينة مستشفى نقشت على أفاريزه رسوم ترمز الى أجد أعمال حياته . وقد علق الفلورانسيون رسمه في محراب المبد الجديد الشديد على اسم العذراء مريم ، عرفاناً بحميلة ، وتخليداً لذكرى مبالغ وافرة تبرع بها لاتمام بناء هذا المبد . وقد مثل في هذا الرسم مضموم اليدين جانياً على قدمي العذراء . وكان يدل عليه في صورته هذه وجهه الشاحب الكالح ، وعيناه الحادتان ، وقيمته الحمراء ، وديار مفرى اعتاد الظهور به في المجتمعات . وكان رسم زوجته «منى يساتونفا» معلقاً في المحراب أيضاً في الجهة المقابلة ، قرب صورة العذراء ، وكان الرسم يمثلها في موقف الصلاة وعلى وجهها باذية صمات الكابة والخفر والخشوع دلالة على احتفاظها بنفسها

وقد كان نرلي فوق هذا في طليعة المواطنين الذين أسسوا الجمهورية ؛ فلم يخالف يوماً شيئاً مما سن في البلاد من شرائع ووضع من نظم ، ورسم من مراسيم ، وفرض من قوانين . ولم يُمن قط بشؤون البؤساء والموزين ، ولم يتدخل في أمر من قضى عليهم رجال الحل والعقد بالعقاب أو التفرج أو الابداء ، بحيث لم يفقد في أعين القضاة ورجال السلطة شيئاً مما أحرزه لديهم من مكانة ومقام ، بوافر ثروته وحسن سيره وانقياده .

في ذات مساء من أيام الشتاء عاد الى قصره متأخراً على غير عادة ، فوجد نفرآ من التسولين نصف العراة محتشدين امام الحديقة . فلما ابصروه احتاطوا به وبسطوا له ايديهم مستجدين . فزجرهم بعنف وأمهال عليهم بالسب والشتم وأقسام عنه بفظ الكلام وقارسه فتفرقوا حلقات واجمين جزعين - غير ان الجوع وقد أخذ مأخذه منهم حملهم على لم شعهم واعادة الكرة على نرلي فرجعوا كأنهم مراحل تقلى واحتاطوا به ثانية بشكل نصف دائرة وطفقوا يبضجون ويوللون ويلفظون ويصيحون صيحات مماثل عواء الذئاب الضارية واخذوا يسألونه بصوات ملؤها التهدج والتهدد خبزاً يأكلونه فهم بالانحناء على الأرض

ان قسطاسى وان خالف بشكله موازين. مرابى باريس وصيارفة  
البنديقية إلا أنه فى منتهى الدقة والضبط : فقال نزلنى أنى يكون  
هذا ؟ أفلا يزيد فى قسطاسك وزن القبة الضخمة والنبر الكبير  
والتثال العظيم والمستشفى الفسيح العالى بكل ما فيه من أسرة وعدد  
ومعدات على وزن قلامة الظفر وقشة الحقل وريشة الطائر ؟ فقال  
الملك : لست أدرى ولكن الأمر كما ترى ، فساويك وآثامك  
لا تزال حتى الآن ترجح كثيراً على مبراتك وحسناتك . فقال  
نزلنى : وهو يصر بأسنانه وفرائسه ترتد وركبته تصطكان هلعاً  
ورعباً : يا لشقائى ! وما عسى أن يكون مصيرى ؟ أنا هالك ؟ وهل  
الى النار مآلى ؟ فقال الملك : رويدك يا قولاً انى لم انجز بعد عملى  
إذ بقى وزن هذه ، مشيراً الى أرغفة الخبز الأسود التى ألقاها نزلنى  
مكرهاً على الفقراء الموزين فى مساء اليوم السابق ، ثم جمع الملك  
تلك الأرغفة وضمها الى ما فى كفة الأعمال الصالحة فإذا بهذه  
الكفة قد تحركت وبدأت تمقل وتهوى الى أسفل ، بينما الكفة  
الأخرى أخذت تخف وتشيل ، ولبثت حركة الكفتين تتراوح  
هنيهة بين هبوط وصعود حتى سكنت ، فإذا الكفتان متعادلتان  
وزناً ومستوى . فدهش نزلنى مما رأى وكأنه لا يصدق عينيه .  
فقال له الملك : انك والأمر كما ترى لا تستحق الجنة جزاء  
ولا تستوجب النار عقاباً ، فمد اذن الى فلورانسا ، وواصل الاحسان  
على الفقراء عن رضى ولو بالخبز الأسود ، ولا تدع أحداً يحس بالخير  
الذى تصنعه ، وثق بأنك إن فعلت هذا وواظبت عليه تخلص ،  
إذ لا يكفى أن يفتح الله أبواب الجنة للص التادم والبنى التى تحوب  
بناها ونمت عليه وبكت من أجله وقابت عنه ، بل يجب أن  
يخلص بواسع رحمته من النار غنياً أيضاً ، فكن أنت هذا الذى  
ووال الاحسان ولو بالخبز بمد أن تبين مبلغ وقمه وثقله فى  
قسطاس العدل الالهى .

قال الملك هذا واختنى ، وبعد قليل أفاق نزلنى من رقدة الموت  
وجلس فى سريره يتأمل فيما حدث ويعجب مما رأى . ثم نهض  
بمد أن وطد النفس على العمل بنصح الملك وموالاة الموزين  
بالصدقات والحسنات لينال الخلاص — وهكذا لبث طيلة ثلاث  
سنوات قضائها على الأرض بمد موته الأول كثير الاشفاق  
على الفقراء ، وافر الرحمة على البؤساء والموزين ، مواظباً على فعل  
الخير مواصلاً أعمال البر والصالح .

صبيح المعروسي

ليلتقط حجارة يرشقهم بها ، ولكنه أبصر احد غلمانه آتياً وعلى  
رأسه طبق عليه ارغفة من الخبز الأسود جاء بها ليقرقها على  
الشتنلين فى اصطبلات القصر ومطبخه وحديقته فأوماً اليه كي  
يدنو منه ، ولم يلبث ان يلقى بملء يديه على اولئك الجياع  
ذلك الخبز الأسود فهاجوا وماجوا وهجموا فى هرج ومرج يدفع  
بعضهم بعضاً متراحين متسابقين على تلغف تلك الأرغفة والتقاطها ،  
ولما خف صخبهم وسكن لنظهم وهذات ثورتهم وحتقهم دخل نزلنى  
فى داره ونام ، وفيما هو مستغرق فى رقاذه أصيب بضربة مخية أودت  
بجيانته وكان موته سريعاً جداً بحيث خيل اليه أنه لم يزل بعد على  
قيد الحياة . وبعد هنيهة شعر أنه فى مكان مقفر مظلم ثم ابصر  
ميكائيل رئيس الملائكة آتياً اليه قدماً وهو يحمل قسطاساً  
ذا كفتين ، فلما ادركه الملك اخذ يضع فى احدى الكفتين ما كان  
فى حيازة نزلنى من حلى وأرامل وأموال أيتام وقطع ذهبية وحجارة  
كريمة وتقود مختلفة كان أحرزها بالنش والربا الفاحش — ففهم  
نزلنى أنه قبض وأنه انما جاء به الى ذلك المكان ليحاسب

فقال الملك : أما وقد وضعت فى هذه الكفة ما جمعت بالنش  
والحرام فمن العدل أن تجعل فى الكفة الأخرى ما عملته من  
مبرات وصنعت من حسنات فأرجو منك يا سيدى أن تجعل فيها  
ما شدته من معاهد للبر والعبادة : ضع المستشفى العظيم الذى أفتته  
خارج أسوار المدينة ، ضع القبة الضخمة التى أنشأتها لمبد العذراء  
مرمم ، ضع ... تقاطعه الملك وقال : هدى روعك يا قولاً واخذ  
الى السكينة فلن أغفل شيئاً من صالح أعمالك . قال هذا ووضع  
بيده البقرة اللطيفة ذبك المستشفى والقبة فى الكفة الأخرى  
ولكن الأولى ظلت راجحة . فقال نزلنى : فتش جيداً لملك  
تجدلى أعمالاً صالحة أخرى ، ومع هذا أراك أهملت جرن الماء  
البارك الذى قنمته لكنيسة القديس يوحنا ، وغاب عنك منبر  
الخطابة الذى صنع على نفقتى فى معبد القديس اندراوس ، ونسيت  
بنوع خاص تمثال عماد السيد المسيح فهو عظيم جداً وقد كلفنى  
نحتة الدقيق البديع المتفنن مبالغ طائلة . فجعل الملك كل هذا فى  
الكفة أيضاً ولكن رجحان الأولى مازال عظيماً — فامتقع وجه  
نزلنى بروعة وجزعاً وغشى جبينه عرق بارد فأدرك أنه هالك ، وتدرأن  
الجحيم المد للخطاة والاشرار سيكون مصيره ، ثم التفت الى الملك  
وقال : أنت واتق يا مولاي من ميزانك وصحتة فأبتم الملك وقال :